أوراق من دفتر سجين
الورقة الخامسة

أماه.. "ابكي لدين ما عليه بواكي"

بقلم الشيخ؛ أبي محمد المقدسي

إن أنسى .. فلن أنس ما حييت ، دموعك التي لم تجف أبدا منذ اعتقالي ..

وفي كل زيارة تـذرفين المزيـد علـى شـبك الزيـارة .. رغم ابتسامتي التي لا تغيب عند لقياك ..

أماه لا يخطر ببالك لحظة .. أن دموعـك هينـة علـي أو ليست بعزيزة لدي .. كلا ..

فقد عرف البعيد والقريب حبي لك وبري بك ..

ولكن قد عرفّتك يا أماه مرارا أن دين الله أعز علينـا .. وتوحيد الله أحب إلينا جميعا .. وهذا يـا أمـاه هـو عـذري إن كنت سببا في المزيد مـن دموعـك وأحزانـك .. فاصـبري .. فقد قلت لك مرارا وتكرارا ، أنني خلف هذه القضبان لأجل دعوة غالية .. هي دين الله وتوحيده ..

وكفى بهذا وسام فخار على جبينك يا أماه ..

أراك تقطعين الفيافي لأجل زيارتي بين الفينة والأخرى .. وعندما يطول انتظارك خلف أسـوار السـجن ، تسـمعين ثرثرة النساء حول قضايا أبنائهن أو أزواجهن أو إخــوانهن .. أكثرها يدور بين السرقة والاغتصاب والمخدرات ، والسـلب والقتـل وغيرهـا .. فتـأملي كـم هـي حقيـرة سـاقطة تلـك القضـايا الدنيويـة الـتي تـزج بأهلهـا سـنينا طـوالا ، فتقطـع الأرحام ، وتفرق بين الأحباب ، وتستجلب الفتـن العظـام .. لأجل دنيا فانية .. أو شهوة ساقطة زائلة ..

أما نحن يا أماه .. فقـد عرفتـك مـرارا بطبيعـة قضـيتنا وتهمتنا ، تهمة عز ورفعة وفخار ، فـي زمـان جثـا فيـه أكـثر الناس ، وتخـاذلوا عـن نصـرة الـدين ، وطـاطؤوا الـرؤوس لجلاديهم ، وقنعوا بعيش ذليل ، ورضوا بصمت يخلصهم من

تكاليف هذه الطريـق .. فلا بـد أن تشـمخي وتفخـري بهـذه المنحة التي اصطفانا اللـه لهـا .. وتسـأليه سـبحانه الثبـات والقبول وحسن الختام .. لقد أفهمتـك أننـا نعنـي مـا نقـول حين نسمي قضيتنا ب(لا إله إلا الله) .. إذ عندنا مـا نقـول على ذلك ..

وكثيرا ما تعمدنا أن نعلـن ذلـك أو نخطـه علـى أبـواب مهجعنا ، أو فـي أوراق السـجن وبطاقـاته .. لجعلـه مـدخلا لدعوة من يسـتغرب هـذه التهمـة ويسـتهجنها مـن عسـاكر السجن وضباطه وغيرهم .. حين يبـادر بـالقول .. وهـل (لا إله إلا الله) تهمة ؟؟

كلنا نقول (لا اله إلا الله) .. كذا يزعمون ..

فنشرح لهم أن لهذه الكلمة العظيمـة تكـاليف ولـوازم وشروط .. وأنها تحوي أمورا عظيمة تثبتها وأخرى تنفيهـا .. وأن الشأن ليس في قولها .. بل في تحقيق ذلك ..

ثم نبين لهم كيف أنهم يعملون ليل نهار على هدم هـذه الكلمة ومـا تحـويه مـن أركـان عظـام .. وكيـف أنهـم جنـد لأعدائها ، حرب عليها وعلى أهلها وأوليائها فأنا ينفعهـم مـع ذلـك التلفـظ بهـا .. فهـذه الكلمـة العظيمـة .. لهـا جنـد يجاهدون من أجلها ، ويبذلون لها مهجهم وأعمـارهم .. مـن أجلهـا يسـجنون ، وفـي سـبيلها وسـبيل تحقيقهـا وإقامـة شرعها ، يبتلون ويعذبون .. ونحن نحتسب أنفسنا أن يجعلنا الله منهم ..

كمـا أن لهـا أعـداءا وخصـوما ؛ ينصـرون مـا ناقضـها وعارضها من شرع الطاغوت وديـن الكفـار .. والحـرب مـذ خلق الله الخلق بيـن الطـائفتين مسـتعرة .. فهـم فريقـان يختصمون .. خصمان اختصموا في ربهم ..

فمنهم من يطـأطئ رأسـه حيـن يسـمع هـذا ونحـوه .. ويعترف بالواقع المرير .. ثم يتعذر بـالرزق والأولاد ونحوهـا من الأعذار .. فننكـر عليهـم بإبطـال تلكـم الأعـذار .. الـتي يقارفون بسببها الشرك وينصرونه .. ألم يحـذر اللـه تبـارك تعـالى ويقـول : ((إن مـن أزواجكـم وأولادكـم عـدو لكـم فاحـذروهم)) ...؟ أولـم يقـل سـبحانه وتعـالى : ((قـوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكـة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)) .

ومنهم من تأخذه العزة بالإثم ويستكبر ويصر على باطله .. ولا عجب أن يضيق أعداء الله ذرعاً بهذه الدعوة العظيمة ، التي تعريهم وتعري أربابهم الزائفين ..

فقد قال تعالى : ((وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون))

ولا عجب أن يغتاظوا إذا شرحنا لهم تهمتنا كذلك .. فقد قال تعالى : ((إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون)) .

سلام عليك يا أماه ..

لقد شرحت لك كثيرا عن طبيعة هذه الطريق وأنها طريق الرسل وأتباعهم وحواريهم .. فعلام تكرار البكاء وذرف الدموع ..؟؟

لن أنس دموعك وأنت تودعينني في زيارتك لي في عيد الأضحى المبارك .. من خلف شبك الزيارة فلا تظني يا أمّ أني لابتسامتي الدائمة، لا أقدر أحزانك أو أستشعر أشجانك .. كلا فليس الأمر كذلك ..

بل أمنيتي أن تتناسي أمر سجني ، وأن توجه تلك الدموع والأحزان والأشجان لما هو أغلى وأسمى .. ويومها أخرجت لك قصيدتي التي مطلعها :

لا تبكني أماه وابك ديناً جريحاً ما عليه بلوعة بواكيا
ما كنت يوما رغم حبسي جاثيا فلأجل ربي أستطيب عذابيا
فالسجن خير من حياة مذلةٍ وأنا لربي قد نذرت حياتيا
والسجن ليس بحابسٍ لي دعوتي والقيد ليس بمطفئ أنواريا
أنا هاهنا حر برغم سلاسلي ورنينها يشجي ربوع فؤاديا
أنا هاهنا حر ودون قيودنا شعبٌ يُطأطئ للخيانة جاثيا

إلى آخر الأبيات ..

تذكرت دموعك على شبك الزيارة .

وانا أراوغ في أسئلتي يمينا وشمالا .. عن والـدي تـارة وعن شجيراته .. وعـن صـغاري ومشـاغباتهم وأحيـد .. هنـا وهناك .. كي أنسيك شجون الحبـس . فـإذا مـا حـدث إلـى الطاغوت أو بعض أذنابه ، عضضت على شـفتيك وأشـرت ؛ أن كف لا يسمعوك !!

أماه من أي شيء نخشى .. أو نحاذر .. ؟؟

أوما أخبرتك أننا قد أشبعناهم سماعا..؟

فلم يبقى ما لم يسمعوه فلله در ابتسامتك .. بين تلـك الدموع ..

واسلمي لابنك المحب الأسير ... عاصم .

وهذه أبيات أهديها إليك ..

***

أتعرفين جريمتي ؟

(مـن عتمـة السـجن بـل من نور إيماني)[1]
ومن فؤادي بل من نزف شرياني

أخـط دعوتي بدمي على ورق
(أعددته في غد الأيام أكفاني)

أتعرفـين جـريمتي يـا أم أو تهمي
تلك التي من أجلها زجوا بجثماني

ومزقوا جسدي من بعــد ما يئسوا
عن دحر دعوتي أو من نزع إيماني

لأنني عشــت لا أرضــى بطاغية
ولا أذل لطـاغوت وخوان

لأنني لــم أرتـض صمــتا يخلصني
من بطش جلادهم أو ظلم سجان

---

[1] () مطلع هذه القصيدة مقتبس من أبيات لصديقنا في السجن الشاعر أيمن العتوم

جريمـتي أننـي لا زلــت أعلـنها براءتي من كفرهم جهرا بأوطاني
فلا تقـــــولي أضـــعت العمـر في محن فإنها منح من فضـل رحـمن
ولا تقـــولي صغـــارك لست ترحمهم فالله يرحـمهم والله يـرعاني
فقـرّ عيـنا ولا تبكي على محني إني رضيت بعـيش العـز ديداني
(زنزانـــتي خيـــر مـــن صاحبت في زمن) الحاكمون به عـبدوا كأوثان
وإن أودعـــــها يومـــا وأهجرها فبندقيتي يا أم : الصـاحب الثاني

أبو محمد
سجن البلقاء –1418هـ

منبر التوحيد والجهاد

* * *

tth
tth
tth
tth
tth